

تربية النفس على الثبات

عباد الله: افتحوا مسامع قلوبكم فإن المولى جلّ وعلا يقول: (يُنَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) إبراهيم ٢٧.

أيها الإخوة: إنّ الثبات على الدين هو من أعظم الأمور ولذا لا بدّ من تربية النفس على الاستمرار في طريق الهداية والالتزام بالإسلام والمداومة على الخير. ولا يكفي، يا أخي الحبيب، أن تستقيم فترة من حياتك ثم بعد ذلك تسلك طريق الأشرار، فالله سبحانه وتعالى يقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ). وقال جلّ وعلا: (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ).

واعلم يا أخي الحبيب: أنّ الثبات على الدين نعمة عظيمة يمتن الله بها على من يشاء من عباده. قال الله جلّ وعلا مخاطباً رسوله: (وَلَوْ لَا أَنْ تَبْنَتْنَا لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً). فالنبي ﷺ على فضله وعظيم قدره لم يثبت بمفرده، بل أمتن الله عليه بالثبات. لذلك نبهنا رسولنا ﷺ إلى عظم هذا الأمر "الثبات على الدين" وحذرنا من السقوط والانحراف عن طريق الحق. وخاصة أنّ الإنسان لا يعرف خاتمته، والفتن تعصف بالقلوب. قال ﷺ: *فو الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا نراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها.* وقال ﷺ: *إن بين أيديكم فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً، ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً، ويصبح كافراً.* وبين النبي ﷺ أن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يصرفها كيف شاء. وقد قال مبينا شدة تقلب قلوب العباد: *لقلب ابن آدم أشد انقلاباً من القدر إذا اجتمعت غليانا.* وما سمي الإنسان إلا لنسيانه ولا القلب إلا لأنه يتقلب، وهذا أمر واقع في حياتنا. فكم من بستان أمسى فيه الورد الجميل وأصبح يابساً محطماً، وكم شاهدنا رجلاً من أهل الخير والصلاح ومن أصحاب التقى والفلاح قلبه مُشرق بطاعة ربه فإذا به انقلب على وجهه وترك طاعة ربه وترك الصلاة والصيام وغيرها من الطاعات. وترى على الجناح الآخر رجلاً من أهل الخنى والفساد والإلحاد، قلبه بمعصية الله مظلم سقيم وإذا به يقبل على الطاعة والإحسان ويسلك سبيل التقوى والإيمان.

عباد الله: بما أنّ الثبات على الدين يُعتبر من أهم القضايا فلا بد من معرفة الأسباب التي تكون عوناً لنا لنحصل على نعمة الثبات التي امتدح الله بها المؤمنين فقال: (مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا) فمن أسباب الثبات على الحق والهدى والدين:

١. الإكثار من الدعاء والابتهال إلى الله أن يُثبت قلبك على الإيمان: فقد جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن أنس قال: كان النبي ﷺ يكثر ويقول في دعائه: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك. فقيل له يا نبي الله آمنة بك وبما جئت به فهل تخاف علينا؟ فقال: نعم، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن عز وجل يقلبها كيف يشاء. وعن المقداد: لقلب ابن آدم أسرع تقلباً من القدر إذا استجمعت غليانا. فألحوا على الله بالدعاء أن يربط على قلوبكم ويثبتكم على دينكم. فقلوبنا ضعيفة والشيطان قاعدٌ لنا بالمرصد، فأكثرُوا من قول: (رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ).

٢. الشعور بالفقر إلى الله تعالى وأنه ليس لنا غنى عن تثبته طرفة عين: (وَلَوْلَا أَنْ تَبَنَّاتَكَ لَقَد كُنْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا). (إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَتَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا).

٣. الإيمان بالله تعالى: قال جل وعلا: (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ). والإيمان الذي وعد أهله وأصحابه بالتثبيت هو الذي يرسخ في القلب وينطق به اللسان وتصدقه الجوارح والأركان. فليس الإيمان بالتمني والتحلي ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل. فالالتزام الصادق في الظاهر والباطن والمنشط والمكره هو أعظم أسباب التثبيت على الصالحات. قال تعالى: (وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا).

٤. ومن أعظم أسباب الثبات، كتاب الله، قراءته وتدبره والعمل به: قال جل وعلا: (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ). وقال سبحانه: (وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ). فعندما تنظر في كتاب

الله وترى قصص الأنبياء وثباتهم على الدين رغم إيذائهم وقتلهم كيحيى، ورغم سجنهم كيوسف، وطردهم ومطاردتهم كموسى وعيسى، والاستهزاء بهم كنوح وغير ذلك فانه سبحانه لا يقص تلك القصص للتسلية إنما يقصدها ليقنتدي الناس بتلك الثلة المباركة يقول جل وعلا: (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ).

٥. ومن أسباب الثبات، قراءة سير الصالحين والسلف: فعندما ترى تضحيتهم وثباتهم يكون ذلك عوناً لك على الثبات. جاء في صحيح البخاري عن خباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟ فقال: (قد كان من قبلكم، يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض، فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون).

٦. ومن أسباب الثبات، أن تتأمل عظم الأجر للصابر والثابت على دينه آخر الزمان: قال ﷺ: فإن من ورائكم أيام، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله. قالوا: أجر خمسين منا أم منهم؟ قال: بل منكم، أنتم تجدون على الحق أعواناً وهم لا يجدون على الحق أعواناً.

أسأل الله لي ولكم الثبات على الدين

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم فيا فوز المستغفرين استغفروا الله

٧. ومن أسباب الثبات، أن تثبت على الطاعة والخير وأن تترك المعاصي والذنوب صغيرة وكبيرها ظاهرها وباطنها: فإن الذنوب من أسباب فساد القلوب. جاء في الحديث عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إياكم ومحقرات الذنوب فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد فجاء ذا بعود وجاء ذا

بعود حتى حملوا ما أنضجوا به خبزهم وإن محقرات الذنوب متى يأخذ بها صاحبها
تهلكه. ورحم الله القائل:

خل الذنوب صغیرها وكبیرها ذاك التقوی

وأصنع كماش فوق أرض الشوك يحذر ما یرى

لا تحقرن صغیرة إن الجبال من الحصی

٨. ومن أسباب الثبات، كثرة ذكر الله: (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ). وجاء في الحديث
الذي أخرجه البخاري أن رسول الله ﷺ قال: مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه
كمثل الحي والميت.

٩. ومن أسباب الثبات على دين الله، ترك الظلم: (يُنَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ). فاتقوا الظلم
أيها الأخوة والأخوات. اتقوا ظلم أنفسكم بالمعاصي والذنوب، اتقوا ظلم أهليكم
بالتفريط في حقوقهم، اتقوا ظلم أولادكم بتضييعهم "فإن الظلم ظلمات يوم القيامة".

١٠. ومن أسباب الثبات على الإيمان، نصره دين الله ونصرة أوليائه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ
الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّنْتَ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرْتَ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ
آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ). وقال جل وعلا: (إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ
وَيُنَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ). ونصرة دين الله له طرق كثيرة منها:

١٠.١. الدعوة إلى الله بالكلمة الطيبة أو بالأخلاق الحميدة أو بالمعاملة الحسنة.

١٠.٢. طلب العلم والعمل به.

١٠.٣. الإنفاق في سبيل الله سواء كان هذا الإنفاق على الفقراء والمساكين أو الإنفاق في دعم العمل الإسلامي وإقامة المساجد والإنفاق عليها كله نصرة لدين الله.

وأختم بذكر نموذج من الذين ثبتوا على دين الله: فهذا أبو بكر الرملي إمام من الأئمة أتى به قائد العبيدين الباطنين من الرافضة قال: بلغني أنك قلت إذا كان مع الرجل عشرة أسهم وجب أن يرمي في الروم سهماً وفيها تسعة. قال: بل قلت: إذا كان معه عشرة أسهم وجب أن يرميكم بتسعة وأن يرمي العاشر فيهم. لأنكم غيرتم الملة وقتلتم الصالحين وادعيتهم نور الإلوهية. فأخذه وضربه ثم أمر يهودي فسلخه. بدأ من مفرق رأسه يسلخ به وهو يذكر الله ويصبر. فلما بلغ الصدر رحمه اليهودي قطعنه بالسكين في قلبه ليموت. ثم أمر أن يحشى تبناً ويصلب. فمات رحمه الله ثابتاً صابراً محتسباً. هكذا حال الرجال يهون عليهم أن تسفك دماؤهم وتقطع أجسادهم في سبيل الثبات على هذا الدين.

ومن المؤسف أيها الأحبة، أن حال كثير من المسلمين يندى له الجبين عندما ترى بعض الشباب يبيع دينه بعرض قليل. بعض الناس يبيع دينه وإيمانه بامرأة فاجرة أو بكأس من الخمر أو بدريهمات من أجل دنيا حقيرة.

فأوصي نفسي وإخواني بالثبات على هذا الدين حتى الممات. بالثبات على الأعمال الصالحة "المحافظة على الصلاة، الصيام، الذكر وتلاوة القرآن". بالثبات على الإنفاق على هذا المسجد. أوصيكم بالثبات على العهد الذي عاهدتمونا عليه، وهو التبرع كل يوم جمعة بـ ٢ يورو على الأقل وممكن بأكثر من ذلك، ولكن ٢ يورو يستطيعها الفقير والغني، الصغير والكبير مقابل ذلك لك أجر:

١. كل من دخل المسجد وصلى أو ذكر الله أو قرأ قرآن أو دخل في الإسلام.

٢. تأتي وتجد مسجد تتوضأ وتصلي فيه الصلوات الخمس وصلاة الجمعة والجماعة.

فهذه رحمة من الله أن تحصل على هذه الأجور وتلك المنافع باثنين يورو أسبوعياً وكلما زدت زاد الأجر.

نسال الله أن يثبتكم على هذه الصداقات. فالثبات الثبات أيها الأحبة على هذا الدين, الثبات على الأعمال الصالحات حتى نلقى الله وهو عنا راض.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

والحمد لله رب العالمين